الفصل الثاني
توثيق النص القرآني

المبحث الأول : توثيقه في حياة الرسول ﷺ

حظي القرآن بعناية الله سبحانه وتعالى لم يحظ بمثلها كتاب غيره من الكتب المنزلة، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ، وقال ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾ [الأعلى: ٦].

وقد مر توثيقه بمرحلتين اثنتين : إحداهما هي التي كانت في حياة الرسول ﷺ، والأخرى كانت بعد ذلك.

فهذا الفصل هو في كيفية التوثيق لما له من صلة بالقراءات، وهو يهتم أكثر بعلل التوثيق بعد الكشف عن كيفيته.

ومما لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالى حينما أنزل القرآن الكريم على رسوله الأمين حَفَّهُ بوسائل مختلفة مهمة تقيه من كيد الكائدين وجحد الجاحدين، وتحفظ ديمومته وانتشاره بين خلق الله ليكون لهم دستورا وموعظة ومنهج حياة.

وقد تنوّعت تلك الوسائل وتعددت صورها، منها : نزول القرآن منجما، وكتابته حين النزول وتأليفه، وحفظه في الصدور وإقراؤه بدءاً من أول الوحي إلى نهايته، بالإضافة إلى معارضة جبريل عليه السلام للرسول ﷺ للقرآن كل سنة حتى وفاته ﷺ.

أولا : نزوله منجما

في اللسان أن "تنجيم الدَّيْن : هو أنْ يُقدّر عطاؤه في أوقات معلومة متتابعة..

ونَجَّمَ عليه الدِّيَةَ : قطّعها عليه نَجْمًا نَجْمًا .. ويُقال : جَعَلتُ مالي على فلان نجومًا مُنجّمةً : يُؤدّي كل نجم في شهر كذا، وقد جعل فلان ماله على فلان نجوما معدودة : يُؤدّي عند انقضاء كل شهر منها نَجْمًا ...(١)".

فالتنجيم كما ترى ـ جعل الشّيء قطعًا مُفرّقة مفصولة عن بعضها حتى تكون سهلة الأداء. وأصل فعله غير المزيد "نجم" : بمعنى طلع وظهر، وهو خاص بما لا يقوم على ساق(٢).

والمنجّم اسم مفعول من "نجّم" المزيد بتضعيف العين للدلالة على المقطّع أو المفرّق الذي فُصلت أجزاؤه عن بعضها، ومنه قولهم : أنزل القرآن منجّما : أي "نُجُمًا نُجُمًا، وكانت تنزل منه الآية والآيتان(٣)" وهذا توضيح بذلك كما ترويه كتب علوم القرآن وغيرها من المؤلفات التاريخية :

١ ـ في حديث عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن القرآن نزل إلى سماء الدنيا من اللوح المحفوظ ليلة القدر جُملة واحدة ثم نزل بعد ذلك منجّما في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين(٤).

٢ ـ وفي قول منسوب إلى الإمام الفخر الرازي أنه نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر، أو ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، في كل ليلة ما يقدّر الله إنزاله في كل سنة، ثم نزل بعد ذلك منجما إلى الأرض في جميع السنة، أي أن الذي ينزل في ليلة قدر واحدة إلى سماء الدنيا ينزل منجما على الرسول ﷺ على مدار السنة الواحدة كاملة(٥).

---

(١) لسان العرب ج٦/٤٣٥٨ مادة "نجم".
(٢) انظر : لسان العرب ج٦ /٤٣٥٦ مادة "نجم".
(٣) انظر : لسان العرب ج٦ / ٤٣٥٧ .
(٤) انظر : الإتقان في علوم القرآن، ج١/٥٣ ، ٥٤ .
(٥) نفسه ج١/٥٤.

٣ ـ وقيل : إنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجّما في أوقات مختلفة من سائر الأوقات على مدار عشرين سنة أو أكثر(١).

٤ ـ وهناك قول رابع مضمونه أن القرآن نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة، ثم إن الحفظة (وهم السفرة الكرام الكاتبين في سماء الدنيا) نجمته على جبريل في عشرين ليلة قدر وأن جبريل عليه السلام نجمه على النبي ﷺ في عشرين سنة، وهو قول ـ كما ترى ـ قد جمع بين القولين الأول والثاني(٢).

والذي يعنينا بشكل أكثر من غيره أن قضية نزول القرآن منجما ـ كوسيلة من وسائل توثيقه ـ واقعة لا يختلف فيها اثنان ممن يؤمن برسالة الإسلام، سواء كانت على تلك الصفة أو على الصفة الأخرى.

وعن الكيفية التي كان جبريل عليه السلام ينزل بالقرآن على رسول الله ﷺ وكذا ردّ فعله ﷺ من ذلك، يروي الإمام البخاري في صحيحه بسند "عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ : "أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه عليَّ فيفصِمُ(٣) عنّي وقد وعيْتُ عنه ما قال، وأحْيانًا يتمثل لي المَلَكُ رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول". قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإنّ جبينه لَيَتفَصَّدُ(٤) عرقًا(٥).

إن هذا الحديث يحتوي على عبارتين هامتين في حاجة إلى إيضاح وهما:

١ ـ نزول الوحي "مثل صلصلة الجرس".

٢ ـ قوله ﷺ " إنه يعي ما يقول جبريل".

---

(١) انظر : الإتقان في علوم القرآن، ج١ / ٥٤.
(٢) نفسه ج١ / ٥٤ .
(٣) يفصم عني : يقلع وينجلي ما غشيني.
(٤) يتفصّد : يتصبب عرقا.
(٥) صحيح البخاري، مكتبة الإيمان، المنصورة ، مصر ١٩٩٨، ج١ / ٣٧ .

أما الصلصلة فهي صوت الحديد إذا حُرّك[1]، سُميَ كذلك محاكاة لصوته إذا كُرِّرَ، ومنه قيل: صلصلة الجرس لتكرر صوته، ومنه قولهم : صَلَّ اللّجام : امتد صوته، فإن توهمت ترجيع صوت قلت : صلصل وتصلصل[2].

ومعلوم أن "الصلصلة" في صورتها الصوتية هذه ليست رمزا لغويًّا من طبيعة اللغة الإنسانية، وإنّ جعل الوحي شبيها بها لحكمة إلهية لا يبعد أن يكون من أهدافها ـ والله أعلم ـ التكتم على الموحى به لأنه خصّ به الرسول ﷺ دون غيره، فما تلك الصلصلة إلا آيات القرآن الكريم بألفاظ عربية خصّ بها خاتم النبيين ﷺ.

وأما "وعيه" ﷺ لما حمله جبريل عليه السلام من آيات قرآنية في تلك الصورة الغريبة، فإن ذلك خاصية خصه بها الله سبحانه وتعالى كما خصّ بها من قبل النبي سليمان عليه السلام فكان يعي ويفهم أصوات ما يدبّ على الأرض من مخلوقات حية.

إن الذي استقرئ في الأحاديث الصحيحة أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة : خمس آيات، وعشر آيات، وأكثر، وأقل[3]، ولا شك أنّ نزوله بهذه الكيفية الخفيفة أمر يساعد على الوعي والحفظ أحسن من نزوله جملة أو أجزاء أجزاء أو حتى سورا سورا، ومع ذلك فإن ذلك الوعي يبقى وعيا خاصا ليس كوعي عامة البشر.

إن لنزول القرآن منجما في صورته الصوتية المقروءة غايات جمة تعد روافد لغاية أسمى هي توثيقه، وقد لخّص ذلك السيوطي في الإتقان فقال : "قال أبو شامة : فإن قيل ما السرّ في نزوله منجّما؟ وهلا أنزل عليه القرآن جملة؟ قلنا : هذا سؤال قد تولى الله جوابه، فقال تعالى : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً** ﴾ [الفرقان: ٣٢] يعنون كما أنْزلَ على منْ قبله من الرسل. فأجابهم تعالى بقوله

---

(١) انظر : لسان العرب ج٤ / ٢٤٨٦ مادة "صلل" (٢) انظر : نفسه ج٤ / ٢٤٨٦ .
(٣) انظر : الإتقان ج ١ / ٥٧ .

﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي : أنزلناه كذلك مفرّقا ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [الفرقان : ٣٢] أي لنقوّي به قلبك، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى بالقلب وأشد عناية بالمرسل إليه...

وقيل : معنى ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ : أي لتحفظه، فإنه عليه الصلاة والسلام كان أمّيّا لا يقرأ ولا يكتب، ففرّق عليه ليَثْبتَ عنده حفظُه، بخلاف غيره من الأنبياء فإنه كان كاتبا قارئا فيمكنه حفظ الجميع، وقال ابن فورك : قيل أُنزلت التوراة جملة لأنها نزلت على نبي يكتب ويقرأ وهو موسى، وأَنْزلَ الله القرآن مفرقا لأنه أنزل غير مكتوب على نبي أمي، وقال غيره : إنما لم ينزل جملة واحدة لأن منه الناسخ والمنسوخ، ولا يتأتّى ذلك إلا فيما أنزل مفرقا، ومنه ما هو جواب لسؤال ومنه ما هو إنكار على قول قيل أو فِعْلٍ فُعِلَ[1]". قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣٣]، إذ كان المشركون إذا أحدثوا شيئا أحدث الله لهم جوابا[2]، وقال بعضهم:

إنما الحكمة من إنزاله مفرّقا هي بيان الأحكام[3].

تلك كانت المرحلة الأولى في توثيق النص القرآني، فأنزله الله تعالى على تلك الصورة منجما تخفيفا على نبيّه الأمّي من جهة، ومبالغةً في حفظه على صورته الصوتية الغضة كما قرأه جبريل عليه السلام عن رب العرش العظيم[4].

ثانيا : كتابته

كتابة القرآن الكريم عند نزوله بين يدي رسول الله ﷺ كانت وسيلة من الوسائل

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ج١ / ٥٥ ، ٥٦ . (٢) انظر : الإتقان ج١ / ٥٦ .

(٣) انظر : نيل الخيرات في القراءات العشر المتواترة، ص ١٢ .

(٤) سمى بعضهم هذه المرحلة بمرحلة إقراء جبريل للنبي ﷺ، انظر ذلك في : تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، ص ٧٨ .

المهمة في حفظه، وقد تولى ذلك كُتَّاب الوحي[1]، وأشهرهم : زيد بن ثابت، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبيّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود وأنس ابن مالك رضي الله عنهم جميعا[2].

في حديث صحيح بسند صحيح عن زيد بن ثابت أنه قال : "كنت جار رسول الله ﷺ، فكان إذا نزل الوحي أرسل إليَّ فكتبتُ الوحي[3]..." وقيل : "إنه ما نزلت آية إلا وقد أمر رسول الله ﷺ من يكتب له أن يضعها في موضع كذا من سورة كذا[4]".

وروى الزركشي عن الإمام أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣ هـ) أنّ "كتابة القرآن ليست محدثة فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرّقا في الرقاع والأكتاف والعسب[5]".

والأرجح أن كتابة القرآن في عهده ﷺ كانت تتم من طرف كُتَّاب الوحي بشكل مفرّق مقطع تماشيا مع مجموع الموحى به من القرآن في المرة الواحدة من ناحية، وتماشيا أيضا مع مساحة ما كانوا يكتبون عليه من الرقاع والأكتاف والعسب،

---

(١) ذكر الشيخ أبو عبد الله الزنجاني في كتابه "تاريخ القرآن" طبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة، أن عدد كتاب الوحي هو ثلاثة وأربعون (٤٣) كاتبا، ذكر منهم تسعة وعشرين (٢٩)، انظر : ص ٢٠ . وفي معجم القراءات لعبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر طبعة جامعة الكويت ١٩٨٢ (ج/٧) أن عددهم تسعة وعشرون (٢٩) كاتبا، لعلهم هم الذين ذكرهم الشيخ الزنجاني.

(٢) انظر : مقدمة كتاب السبعة في القراءات، ص ٩ .

(٣) كتاب المصاحف، السجستاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٥، ص ٧ .

(٤) مقدمتان في علوم القرآن. نشر آرثرجفري، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٢ ص ٢٧، وانظر : القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة ١٩٩٥، ص ٥ .

(٥) البرهان في علوم القرآن، ج١/٢٣٨ .

واللخاف والأقتاب وقطع الأديم والأضلاع أيضا[1] وهي لا تتسع إلا لكتابة آية أو بعض آيات، ولكن ذلك لا يقلل من أهميتها لكونها أول كتابة للقرآن وعليها عول في المرحلة الثانية، مرحلة تأليفه إلى جانب التعويل على المحفوظ منه.

إننا نقول إن تأليفه هي مرحلة ثانية لسبب بسيط هو أنه لا يمكن تأليف أي شيء إلا إذا كانت مادته جاهزة، ومادة تأليف القرآن آياته، ولكن ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال أنه تأليف كامل ضم القرآن كله، حاله حال جمع أبي بكر أو جمع عثمان بعد وفاته ﷺ، أو حتى جمع بعض الصحابة الآخرين، فالأرجح أن تأليفه في عهد الرسول ﷺ كان تأليفا لبعض أجزائه أو لبعض سوره وذلك بعد أن يتجمع قدر كاف من الآيات المنزلات، كل ذلك كان يتم بين يدي رسول الله ﷺ، وبأمر منه، ففي حديث عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع .. قال البيهقي : "شُبّه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ[2]" . وليس هذا من طبيعة الكتبة الأولى التي تحفظ الموحى به في حينه، ولكنها من طبيعة الكتبة الثانية التي تجعل الموحى به في مكانه بين الآيات في السور.

---

(١) ـ الرقاع : جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد.
ـ الأكتاف : جمع كتف، وهو العظم العريض الذي للبعير أو الشاة، يستعمل للكتابة عليه بعد أن يجف.
ـ العسب : جمع عسيب، وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض.
ـ اللخاف : جمع لخفة : وهي صفائح الحجارة الرقاق، وقيل : هي الخزف. وقيل : قطع الأواني الفخارية.
ـ الأقتاب : جمع قتب، وهي الخشب التي توضع على ظهر البعير (تسمى أيضا : إكاف البعير) ليركب عليه.
ـ قطع الأديم : قطع الجلد المدبوغ.
ـ الأضلاع : جمع ضلع، وهي العظام التي تلف الصدر، ويكتب عليها بعد أن تجف.
(٢) الإتقان في علوم القرآن ج١ / ٧٦ .

والذي لا شك فيه أن كتابة القرآن في صورتها الأولى أو الثانية حاصلة لا يرد ذلك إلا معاند مكابر، والأدلة على ذلك كثيرة غير ما ذكرناه، من ذلك:

١ – أن الرسول ﷺ قال: "لا تكتبوا شيئا عني غير القرآن، فمن كتب عني شيئا سوى القرآن فليمحه[١]".

٢ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "خرج علينا رسول ﷺ ونحن نكتب الأحاديث، فقال: ما هذا الذي تكتبون؟ قلنا: أحاديث سمعناها منك. قال: أكتابًا غير كتاب الله تريدون؟ ما أضل الأمم من قبلكم إلا ما اكتتبوا مع كتاب الله تعالى[٢]".

٣ – وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أوصاه بعدم إضاعة صحفه التي كان كتّاب الوحي من الصحابة يكتبونها في حضرته بعيد نزول الوحي عليه[٣].

٤ – وروى البخاري بسند صحيح عن البراء، قال[٤]: لما نزلت ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال النبي ﷺ: ادع لي زيداً، وليجئ باللوح والدواة والكتف، أو الكتف والدواة، ثم قال: أكتب ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ وخلف ظهر النبي ﷺ عَمْرُو بن أم مكتوم الأعمى، قال: يا رسول الله، فما تأمرني فإني رجل ضرير البصر، فنزلت مكانها ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥].

فهذه أربعة أحاديث تشير بوضوح إلى كتابة القرآن في عهد النبي ﷺ وبين يديه، وهاهو ذا أحدها وهو الحديث الثالث يشير بوضوح إلى جمع ما كتب في صحف كان رسول الله ﷺ يحتفظ بها تحت فراشه.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ج١ / ٧٦، والقرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص٢ .
(٢) القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص٦ . (٣) انظر: المرجع: نفسه، ص٦ .
(٤) انظر: صحيح البخاري ج٣/ ٣٢٣، باب: كاتب النبي ﷺ.

كل ذلك كان من باب الحيطة من الرسول ﷺ وأصحابه في حفظ النّص القرآني مع أن الله سبحانه وتعالى أمّن رسوله في ذلك فقال ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ﴾ [الأعلى:٦] وقال ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

ثالثا : حفظه في الصدور وإقراؤه

من نافلة القول أن نذكر أن حفظ القرآن في القلوب وإقراءه المسلمين كان أهم وسيلة في توثيق النص القرآني وذلك لأسباب:

١ – ما ذكرنا من أن القرآن أنزل في صورة صوتية منطوقة غير مكتوبة، فكان أولى له أن يحافظ على تلك الصورة ويُبلغ إلى المسلمين كما بلغه بها جبريل عليه السلام لنبي الأمة ﷺ.

٢ – ولا نبعد كثيرا إذا قلنا إن ذلك يتماشى وطبيعة اللسان العربي الذي أنزل به القرآن، وهو لسان حافظ على طبيعته الحقيقية الصوتية فكان للذاكرة سلطانها المطلق فيه[١]. ولا يخفى على أحد أن الرسالة الشفوية كانت هي المسيطرة على الأدب العربي شعره ونثره.

ولا شك أن محافظة القرآن الكريم ـ بعيد نزوله ـ على صورته الصوتية يتماشى وطبيعة العرب الذين كانت غالبيّتهم لا تولي عناية بالكتابة أو لم تكن تعرفها بتاتا[٢]. وقد سبقت الإشارة إلى أن الرسول ﷺ كان أميّا لا علم له بالكتابة، وربما كان يخاف من أن يعتري القرآن نقص بكتابة قد تكون منقوصة، ولذلك لم يكن متحمسا لأن يجعل كتابة القرآن أمرا واجبا، فكان يشجع المبادرات الفردية فقط[٣].

٣ – ومن ناحية أخرى، فإن من مقاصد الدين الجديد – كما أشرنا من قبل – قراءة القرآن لغاية في ذاتها امتثالا لقوله تعالى ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ

---

(١) سلطان الذاكرة : مصطلح أدبي لغوي استعمله الأستاذ البشير بن سلامة، راجع كتابه : اللغة العربية ومشاكل الكتابة، الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية ١٩٨٦، ص ٤١ ، ٤٢ .

(٢) سنبحث معرفة العرب للكتابة من عدمها لاحقا حينما نعرض لعلاقة الرسم بالقراءات.

(٣) انظر : اللغة العربية ومشاكل الكتابة، ص ٤١ .

عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦] وقوله ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨] أي : قراءته، وذلك لما في قراءته من حكم جمة ربما عجزت كتابته عن توصيلها كما هي.

٤ – وهناك أمر مهم آخر، هو أن حفظ القرآن في الصدور وإقراءه في عهد الرسول ﷺ كان هو أصل كل قراءة دونت بعد ذلك، إذ ما كان لأن تُنزل تلك القراءات التي اشتهرت منزلتها لولا تلك المرجعية التاريخية المهمة التي حبا الله بها رسوله ﷺ فقال ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧]، في صحيح البخاري يعني : "جمعه في صدرك ثم تقرؤه[١]".

وحبا بها صحابته وبقية المسلمين بعد وفاته ﷺ.

لقد كان رسول الله ﷺ أول جامع للقرآن في صدره وأول مقرئ له على المسلمين، ففي حديث صحيح أنه ﷺ كان : "إذا أتاه جبريل عليه السلام استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما أقرأه[٢]"، ويقول الشيخ الزنجاني : "وكان ﷺ بعد نزول الوحي إليه وحفظه الآية أو السورة يبلغها الناس، ويقرئ من الفائزين بشرف الصحبة من كان يصلح لذلك ويستحفظهم إياها[٣]".

إن جمع القرآن ثم إقراءه منه ﷺ هو تكليف من الله، قال تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٨، ١٩] معنى ذلك : استمع وانصت ثم اقرأه كما علمت[٤]. وفي حديث صحيح رواه مسلم أن الرسول ﷺ قال : "إن ربي قال لي : قم في قريش فأنذرهم. فقلت له : ربّ إذًا يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة، فقال : مبتليك ومبتلي بك ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان فابعث جندا أبعث مثلهم وقاتل بمن أطاعك مَنْ عصاك وأنفق ينفق عليك[٥]". وقد

---

(١) صحيح البخاري ج٤/ ٤٥٥ .
(٢) نفسه ج٤/ ٤٥٦ .
(٣) تاريخ القرآن، ص ١٣ .
(٤) انظر: صحيح البخاري ج٤/ ٤٥٥، ٤٥٦ .
(٥) النشر ج١/ ٦ .

علق ابن الجزري على ذلك فقال : "فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تُغسل بالماء، بل يقرؤونه في كل حال كما جاء في صفة أمته (أمة القرآن) : "أنّاجيلكم في صدوركم" وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب ولا يقرؤونه كله إلا نظرا لا عن ظهر قلب[١]".

ثم إن جمعه وإقراءه هو تشريف من الله للنبي ﷺ، بدليل ما ورد في الحديث الشريف : "ما أَذِنَ الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهرُ به[٢]" وكذلك قوله ﷺ : " الماهر بالقرآن مع الكرام البررة فزينُوا[٣] القرآن بأصواتكم[٤]"، وقوله أيضا : "أشْرفُ أمتي حملة القرآن[٥]" وقوله كذلك : "ثلاثة لا يكترثون للحساب ولا تفزعهم الصيحة ولا يحزنهم الفزع الأكبر: حامل القرآن يؤديه إلى الله، يقدم على ربّه سيّدا، شريفا حتى يرافق المرسلين، ومن أذَّنَ سبْعَ سنين لا يأخذ على أذانه طمعًا، وعبْدٌ مملوك أدّى حق الله من نفسه وحق مواليه[٦]" . وقوله أيضا في حديث آخر رواه عبد الله بن مسعود : " خيركم من قرأ القرآن وأقرأه[٧]" .

ومادام الأمر كذلك على هذه الدرجة العظمى من التشريف، فلا عجب أن تجد الصحابة رضي الله عنهم يسعون جهد طاقتهم لجمع القرآن في صدورهم واستظهاره قراءة وإقراء، وقد مهر في ذلك نفر منهم سماهم الرسول ﷺ فقال : "استقرئوا القرآن من أربعة : عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبيّ ابن كعب[٨]" .

فهؤلاء طار نجمهم بين بقية الصحابة والمسلمين حتى أصبح بعضهم مقرئا للنبي ﷺ نفسه بعد أن كان هو معلمهم جميعا، ونعني بذلك أبيّ بن كعب

---

(١) النشر ج١/ ٦ .
(٢) صحيح البخاري ج٤ / ٤٦١ .
(٣) في الأصل : وزينوا، بالواو.
(٤) صحيح البخاري ج٤ / ٤٦١ .
(٥) انظر : سند هذا الحديث في : النشر ج ١/ ٢، ٣ .
(٦) النشر ج١/ ٣ .
(٧) النشر ج١/ ٣ . وهذا الحديث رواه عثمان بن عفان بلفظ آخر فقال : قال رسول الله ﷺ : "خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه." النشر ج١/ ٣ .
(٨) معرفة القراء الكبار للذهبي ج١/ ٣١ وانظر أيضا : صحيح البخاري ٣/ ٣٢٥، وفيه : "خذوا القرآن" بدل "استقرئوا القرآن" .

(ت بعد ٢٠هـ)، فقد ورد في الحديث عن قتادة عن أنس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال له: "إني أُمرتُ أن أقرأ عليك، قال: آالله سماني لك؟ قال: نعم، فبكى أبيّ[١]." وكان الرسول ﷺ إذا ذكر الصحابة بخصالهم ذكر أبيًّا فقال: أقرؤهم أبيّ بن كعب[٢]". وورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "أقضانا عليّ وأقرؤنا أبيّ[٣]".

وقد أَهَّلَتْ أُبيًّا هذه المنزلة لأن يتبوّأ مقعدا رفيعا بين الصحابة ويصبحَ مُقرئهم جميعا بلا منازع، فقد قيل: أخذ عنه القراءة ابن عباس، وأبو هريرة، وعبد الله ابن السائب، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وأبو عبد الرحمن السلمي[٤]، وعن هؤلاء أخذ القراءة خلق كثير من التابعين.

وكان عبد الله بن مسعود ابن أم عبد (ت٣٢ هـ) رضي الله عنه يشار إليه بالبنان في حفظ القرآن وإقرائه، فقد قيل إنه "كان أحد من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ، وأقراه، وكان يقول: حفظت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة[٥]..." بل أكثر من هذا أن رسول الله ﷺ كان يوصي صحابته للاقتداء به في القراءة فكان يقول: "من أحبَّ أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد[٦]".

وكذلك كان زيد بن ثابت (ت ٤٥ هـ) رضي الله عنه ـ كاتب النبي وأمينه على الوحي ـ قد جمع القرآن في صدره على عهد رسول الله ﷺ[٧]. وإليه يعود الفضل في الجمعين الكتابيين بعد وفاة الرسول ﷺ فيما سنذكره في الصفحات التالية من هذا الفصل.

---

(١) معرفة القراء الكبار ج١ / ٣٠ .
(٢) نفسه ج١/ ٢٩ .
(٣) نفسه ج١ / ٣٠، وفي صحيح البخاري (ج٣ / ٣٢٦) "قال عمر: أبيّ أقرؤنا وإنا لندع من لحن أبي" أي من لغته.
(٤) انظر: معرفة القراء الكبار ج١ / ٢٩ .
(٥) معرفة القراء الكبار ج١ / ٣٢ ، ٣٣ .
(٦) معرفة القراء الكبار ج١ / ٣٤ .
(٧) انظر: نفسه ج١ / ٣٧ .

وتذكر كتب القراءات أن الخليفتين عثمان وعليّا كانا ممن جمع القرآن حفظا على عهد النبي ﷺ[1]، وإليهما ترجع بعض قراءات السبعة المشهورين، فعاصم ابن أبي النجود يقول : "ما أقرأني أحد حرفا إلا أبو عبد الرحمن السلمي، وكان قد قرأ على عليّ رضي الله عنه[2]"، وقيل إن ابن عامر مقرئ أهل الشام قرأ على عثمان رضي الله عنه، وقيل قرأ على المغيرة على عثمان[3].

وكان أبو موسى الأشعري (ت ٤٤ هـ) رضي الله عنه يصف النبيَّ ﷺ قراءته فيقول : "لقد أوتيَ هذا مزماراً من مزامير داود[4]"، وذلك تعبيرا على حلاوة صوته وطلاوته في قراءة القرآن. وقد كان ممن جمع القرآن حفظا. وكذلك كان أبو الدرداء (ت ٣٢ هـ) رضي الله عنه[5].

فهؤلاء سبعة ذكرهم الإمام شمس الدين الذهبي في الطبقة الأولى من طبقات كتابه "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار" وذيّل ذلك بقوله : "فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي ﷺ، وأُخذ عنهم عرضا، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة[6]".

وقد جمع القرآن حفظا على عهد الرسول ﷺ غير هؤلاء السبعة عدد آخر من الصحابة، منهم : معاذ بن جبل، وأبو زيد الأنصاري، وسالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن عمر، وعتبة بن عامر[7]، ويروي الإمام الذهبي عن الشعبي قوله : "لم يجمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ غير ستة كلهم من الأنصار: زيد بن ثابت، وأبو زيد، ومعاذ بن جبل، وأبيّ بن كعب، وأبو الدرداء، ونسي السادس، رواه إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي فسمى السادس : سعد بن عبيد، وزاد آخر وهو مُجَمِّعُ بن جارية، فقال : قرأ أيضا القرآن إلا سورة أو سورتين أو ثلاثا[8]".

---

(١) انظر : معرفة القراء الكبار، ج١ / ٢٧ .
(٢) نفسه ج١ / ٢٧ .
(٣) انظر : نفسه ج١ / ٢٤ .
(٤) نفسه ج١ / ٣٩ .
(٥) انظر : نفسه ج١ / ٤١ .
(٦) معرفة القراء الكبار، ج١ / ٤٢ .
(٧) انظر : نفسه، ج١ / ٤٢ .
(٨) نفسه : ج١ / ٣٨، وانظر : البرهان في علوم القرآن، ج١ / ٢٤١، وقد أورد البخاري في =

وقد ذكر الإمام الزركشي أن حملة القرآن في حياة النبي ﷺ "أضعاف هذه العدّة المذكورة، ويشهد لصحة ذلك كثرة القراء المذكورين يوم مسيلمة باليمامة، وذلك في أول خلافة أبي بكر، وفي الصحيحين : قُتل سبعون من الأنصار يوم بئر معونة(١) كانوا يسمون القراء(٢)".

وقد أحصى منهم ابن الجزري خمسة وعشرين، ثمانية عشر من المهاجرين، وسبعة من الأنصار، وكان ابن سلام الجمعي قد ذكرهم في كتابه الذي ألفه حول القراءات على أنهم هم الذين أتقنوا القرآن وتلقوه من في رسول الله ﷺ(٣).

هؤلاء هم الذين كان لهم الفضل الأكبر في نشر القرآن مشافهة بعد ذلك ـ على عهد الخلفاء الراشدين ـ إذ توزّع أغلبهم أو منْ أخذ عنهم من التابعين في الأمصار الإسلامية يقرئون كتاب الله للناس كما علموه من في رسول ﷺ، فكان منهم بمكة : عبيد بن عمير، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، وعكرمة، وابن مليكة، وبالمدينة : ابن المسيب، وعروة، وسالم، وعمر بن عبد العزيز، وبالكوفة : أبو عبد الرحمن السلمي، وسعيد بن جبير، والشعبي، وبالبصرة : أبو العالية، وعامر بن عبد قيس، وابن سيرين، ونصر بن عاصم، وبالشام : المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان ابن عفان في القراءة، وخليد بن سعد صاحب أبي الدرداء(٤).

إن عملية حفظ القرآن الكريم في الصدور أو القلوب قد تفاوتت من قارئ لآخر، فقد يكون من الصحابة من حفظه كله على عهد الرسول ﷺ والأقرب إلى ذلك هم

=صحيحه (ج٣ / ٣٢٦) هذا الحديث تحت باب "القراء من أصحاب النبي ﷺ" وهو يتضمن أربعة من الأنصار فقط، وقد رواه قتادة فقال: "سألت أنس بن مالك رضي الله عنه : من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ؟ قال : أربعة كلهم من الأنصار : أبيّ بن كعب، ومعاذ ابن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد."

(١) يوم بئر معونة : هو يوم اليمامة أو يوم مسيلمة، سمي كذلك لوجود بئر في المكان الذي جرت فيه تلك المعركة أيام حروب الردة.

(٢) البرهان في علوم القرآن، ج١ / ٢٤٢ .

(٣) انظر : النشر في القراءات العشر، ج ١ / ٦ .

(٤) انظر : النشر، ج١ / ٨ .

الأربعة المذكورون في الحديث الشريف السابق، وقد يكون منهم من حفظ بعضه على عهده ﷺ ثم حفظه كله بعد ذلك، وذلك هو مذهب ابن الجزري الذي قال : "وكان منهم من حفظه كله، ومنهم من حفظ أكثره، ومنهم من حفظ بعضه، كل ذلك كان في زمن الرسول ﷺ(١)".

وقد تناولت الدراسات بالبحث قضية جمع القرآن في عهد الرسول ﷺ، وقد حدث خلاف فيما إذا كان ذلك الجمع المشار إليه في المصادر القديمة ـ هو جمع حفظ أم جمع تدوين في مصحف.

والذي نميل إليه أن الجمع الحفظي في الصدور هو المقصود، إذ كان هو الأشهر وعليه كان التعويل لما ذكرناه من أسباب، ثم هاهو ذا إسماعيل بن أبي خالد ـ المشار إليه قبل قليل ـ يروي عن الشعبي الستة الذين جمعوا القرآن من الأنصار في عهد الرسول ﷺ ثم يضيف إليهم مُجمّع بن جارية يقول عنه "قرأ أيضا القرآن" أي قرأه كما قرؤوه هم، أي الستة، فيكون بذلك قد دلّ على أن جمعهم للقرآن" إنما هو جمع قراءة وحفظ لا جمع كتابة أو تدوين.

وانظر إلى عبارة الذهبي في حديثه عن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ من أنه "جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وجمعه في صحف لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم تولى كتابة مصحف عثمان رضي الله عنه(٢)" ففي ذلك إشارة واضحة إلى أن جمعه الأول، الذي هو جمع حفظ، يختلف عن جمعيْه الثاني والثالث اللذين هما جمع كتابة في صحف أو مصحف.

إن الذي نرجحه أن يكون الجمع الكتابي الكامل في مصحف قد تم بعد وفاة رسول الله ﷺ. أما الذي حصل منه في حياته فالأرجح أنه كان في صورة منقوصة كما بيّنا ذلك في الصفحات السابقة، ويمكن حصر أسباب عدم جمع القرآن جمعا كتابيا كاملا في مصحف ـ في عهد رسول الله ﷺ ـ فيما يلي :

---

(١) النشر، ج١ / ٦ .

(٢) معرفة القراء الكبار، ج١ / ٣٧ .

١ ـ أنّ النسخ كان يرد على بعض الآيات، فلو جمع القرآن جمع كتابة كله ثم رفعت أحكام أو تلاوة بعضه لأدى ذلك إلى الاختلاف واختلاط الدين، فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمان النسخ[١].

٢ ـ لم تكن الحاجة ماسة لجمعه في مصحف ـ في ذلك العهد ـ لمّا كان الإسلام الناشئ لا يزال محدود الرقعة، فهو مصون بين القلة القليلة من الصحابة رضي الله عنهم الذين كانوا يتسابقون إلى حفظه في قلوبهم.

٣ ـ إن الله أمّن نبيّه من النسيان فقال ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ * إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعلى: ٦]، فكان النبي ﷺ بعد ذلك في غنى عن الجمع الكتابي الكلي[٢]، إذ لم يكن يشجع على كتابته إلا المبادرات الفردية فقط كما سبقت الإشارة إليه[٣].

٤ ـ سبقت الإشارة إلى أن القراءة هي أهم خاصية مظهرية في القرآن الكريم وأن القرآن ما أنزل إلا ليُقرأ، ومن ثم فقد كان تدوينه أو خطّه ـ كما هو حال الكتب المنزلة الأخرى التي اعتراها تحريف ـ ليس مرغوبا فيه، خاصة وأن القرآن الكريم ظل عشرين سنة أو يزيد ينزّل منجّما، والذي يخيّل إلينا أن الذين ذهبوا إلى القول بالجمع الكتابي الكلي للقرآن في مصحف ـ على أيامه ﷺ ـ ربما يكون قد ثبت في أذهانهم المعنى الحسي "الملموس" لكلمة الجمع دون أن يتجاوزه إلى المعنى الحسي "المعقول"، فذلك أمر وارد.

تلك إذاً كانت ثلاث وسائل أساسية في توثيق النص القرآني على عهد الرسول ﷺ رأينا أن نقف عندها دون الوسائل الأخرى لاعتقادنا أن غيرها ملحق بها غير مستقل عنها.

---

(١) انظر: البرهان، ج١ / ٢٣٥، والإتقان، ج١ / ٧٦. (٢) انظر: البرهان، ج١ / ٢٣٨.
(٣) انظر: اللغة العربية ومشاكل الكتابة، ص ٤١.

من ذلك معارضة جبريل عليه السلام للرسول ﷺ كل سنة في القرآن فإن ذلك ـ لا شك ـ عملية مهمة في توثيق النص القرآني، ولكنها لا تخرج عن وسيلة حفظه وإقرائه، وعملية المعارضة هذه تكون باستظهار الرسول ﷺ للقرآن أمام جبريل عليه السّلام بغرض المدارسة والتثبت من صحة ما حفظه ﷺ، وكان ذلك يتم مرة كل سنة، حتى إذا كانت السنة التي لحق فيها بالرفيق الأعلى عرضه عليه مرتين كانت ثانيتهما حاسمة إذ ثبت نص القرآن الكريم حسب ما جاء فيها، وهو نصه الذي نعرفه اليوم بترتيبه من غير تقديم أو تأخير، ومن غير زيادة أو نقصان(١).

كذلك ما كان من أمر استظهار الصحابة من محفوظهم للقرآن أمام الرسول ﷺ اقتداء باستظهاره هو له أمام جبريل عليه السلام، فإن ذلك ملحق بحفظه وإقرائه أيضا، وإنما كان منهم ذلك زيادة في الحيطة والاحتراس حتى لا يكون محفوظهم منه قد اعتراه خطأ أو تحريف.

(١) انظر : القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص ٦ .

المبحث الثاني : توثيقه بعد وفاة الرسول ﷺ

أولا : توطئة

إن توثيق النص القرآني هنا نعني به جمعه كُلَّهُ كِتَابةً في الصحف والمصاحف لأسباب دعت إليها الحاجة بعد وفاة الرسول ﷺ وانقطاع الوحي فلم يعد هناك ترقّب لنسخ بعضه تلاوة أو حكما، ثم إن الظروف قد جدّت باتساع الدولة الإسلامية فخيف على القرآن من أن يعتريه التغيير أو التحريف سواء كان ذلك لأسباب مقصودة ممن يعادي الإسلام والمسلمين أو كان بغير قصد من حديثي العهد بالإسلام ممن انضوى تحت لوائه من أهل البلاد المفتوحة أو كان من التابعين الذين قلّت معرفتهم بالقرآن وقراءاته والذين انطوت أنفسهم وألسنتهم على عادات ما كانوا ليتخلوا عنها بسهولة، أو من التابعين الذين كان لهم اختيار لقراءة من القراءات المسموعة المسندة، ولكنه كان اختيارا فيه من التعصب والحمية والولاء، بحيث يكون ملغيًا للاختيارات الأخرى، وهي كلها مسموعة ذات سند .

فهذه إذًا مرحلة جديدة في توثيق النص القرآني أصبحت الحاجة ماسة فيها إلى جمع القرآن كله وتدوينه وعدم الاكتفاء بحفظه، قال الإمام الزركشي : " فحين وقع الخوف من نسيان الخلق حدث ما لم يكن، فَأُحْدِثَ بضبطه ما لم يحتج إليه قبل ذلك(١)" .

ولا بد أن نذكر أن توثيقه بواسطة الحفظ قد استمر بعد وفاة الرسول ﷺ أيضا، بل لا يزال ذلك قائما على أيامنا هذه، مما يدل على أن وسيلة الحفظ في الصدور قد حافظت على قيمتها وأهميتها. وتذكر بعض الدراسات أن ممن أتم حفظ القرآن بعد

---

(١) البرهان، ج١ / ٢٣٨ .

وفاة الرسول ﷺ من المهاجرين : سالم مولى أبي حذيفة، وأبو بكر الصديق، وعمر ابن الخطاب، وحذيفة بن اليمان، وطلحة، وسعد،وعمرو بن العاص، وأبو هريرة، ومعاوية وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وابن عباس، وعبد الله بن السائب، وابن الزبير، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة. ومن الأنصار : مجمع بن حارثة، وأبو زيد، وأنس بن مالك(١).

ولا بد من الإشارة أيضا إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب قد أدى دورا مهمًّا في تعليم قراءة القرآن للداخلين في الإسلام بعد الفتوح، فكان يختار من الصحابة من يرسلهم لإقراء الناس في الأمصار، فبعث منهم : عبد الله بن مسعود إلى الكوفة، وعبد الرحمن بن ملجم إلى مصر، ومعاذ بن جبل إلى فلسطين، وعبادة بن الصامت إلى حمص، وأبا الدرداء إلى دمشق(٢).

هناك جمعان كتابيان مهمان في هذه المرحلة هما : جمع أبي بكر الصديق، وجمع عثمان بن عفان رضي الله عنهما، ولكن هناك أيضا بعض الروايات تذكر أن بعض الصحابة كان لهم جمع خاص اشتهر، ربما كان سابقا على جمعي الخليفتين:

- **أولها** : ما نسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه من جمعه للقرآن كتابة في ثوب أصفر ثم ختم عليه في بيته. وقد قيل : إنه ليأتيه الرجل فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه(٣).

وثمة رواية أخرى عن عليّ رضي الله عنه أيضا تشير إلى أنه جمع القرآن عقب وفاة الرسول ﷺ مباشرة، وأن ذلك الأمر قد شغله عن بيعة أبي بكر، فقد روى ابن أبي داود السجستاني بسند عن ابن سيرين أنه قال : " لما توفي النبي ﷺ أقسم عليّ أن لا يرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل، فأرسل إليه أبو بكر

---

(١) انظر : تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، ص ٨٢ .
(٢) انظر : الاحتجاج للقراءات الشواذ، مرجع سابق، ص ٢٧ ، ٢٨ .
(٣) انظر : الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٤٠ .

بعد أيام : أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ قال : لا والله، إلا أنني أقسمت ألا أرتدي برداء إلا لجمعة، فبايعه ثم رجع[١]".

فهذا نص يشير إشارة واضحة إلى جمع عليّ رضي الله عنه للقرآن كتابة، ولكنه نص مطعون في صحته لأمرين اثنين على الأقل:

الأول : أن تعليق عبارة "في مصحف" بالجمع تعليق لم يقل به إلا أشعث، وهو ليّن الحديث - كما يقال - ومن ثم فإن أغلب الظن من قوله "حتى يجمع القرآن" يعني: حتى يتمّ حفظه[٢].

الثاني : أن عليًا نفسه صرح أن أول من جمع القرآن كلّه كتَابَةً هو أبو بكر الصديق، قال "أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع بين اللَّوْحَيْن[٣]".

ومما لا شك فيه أن غلاة الشيعة كانوا وراء الترويج لجمع عليّ وبعض أهل البيت للقرآن في مصاحف[٤].

- **ثانيها** : ما نسب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من جمعه للقرآن أيضا، فعن ابن أبي داود السجستاني بسند عن الحسين[٥] "أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله فقيل : كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فقال : إنا لله، وأمر بالقرآن

---

(١) المصاحف، ص ١٦ .

(٢) انظر : المصاحف، ص ١٦، والحديث في الإتقان للسيوطي (ج١ / ٧٧) من غير عبارة "في المصاحف" ونصه : قال علي : لما مات رسول ﷺ آليت أن لا آخذ على ردائي إلا لصلاة جمعة حتى أجمع القرآن فجمعته."

(٣) المصاحف، ص ١١ .

(٤) انظر رأي أبي علي الفارسي في كتاب : الصاحبي في فقه اللغة، مطبعة البابى الحلبي، مصر ١٩٧٧، ص ٣٢٦، وانظر الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٤٠، ٣٢٠ - ٣٢٢ .

(٥) في بعض المراجع، "الحسن" ولعله الحسن البصري، انظر : الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص٤١ .

فَجُمِعَ، وكان أول من جمعه في المصحف[١]" غير أن هذا الحديث منقطع كما يقول السيوطي[٢] فيما نقله عن ابن حجر.

وعن بعض الدارسين - وهذا أرجح - أن ما نسب إلى عمر من جمع ملحق بجمع أبي بكر لا يخرج عنه[٣]. ومما يؤكد ذلك أن بعض العبارات أوردها السجستاني في كتاب "المصاحف" منسوبة مرة لعمر في موضع، ومنسوبة أخرى - في موضع آخر - لأبي بكر، وهو ما يدل على أن الروايتين رواية واحدة وأن الجمعين جمع واحد، من تلك العبارات :

(أ) عبارة "كان أول من جمعه في مصحف"، فهي تكاد تكون عبارة علي ابن أبي طالب السابقة في أبي بكر وهي "هو أول من جمع بين اللوحين".

(ب) عبارة نسبت لعمر هي قوله " إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوه[٤] بلغة مضر، فإن القرآن نزل على رجل من مضر[٥]". فهذه تتكرر في الجمع البكري - كما سوف نرى - بالألفاظ نفسها تقريبا، ومنسُوبة لأبي بكر.

والثابت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان له دور كبير في الجمع البكري، ومن ثم لا يبعد أن يكون ذلك وراء نسبة تلك العبارات إليه وخصه بجمع للقرآن.

- **وثالثها** : ما نسب لسالم مولى أبي حذيفة، واعتبره السيوطي غريبًا في باب أول من جمع القرآن[٦]، حيث روى عن ابن بريدة قوله : "أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة، أقسم لا يرتدي برداء حتى يجمعه فجمعه[٧]..." والثابت أن سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه قد قُتل يوم اليمامة[٨] بُعَيْدَ وفاة

---

(١) المصاحف، ص ١٦، وانظر : الإتقان ج١ / ٧٧ .
(٢) انظر الإتقان ج١ / ٧٧ .
(٣) انظر : الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٤٢ .
(٤) في المصاحف : فاكتبوها، والأصح ما أثبتناه لعودة الهاء على القرآن لا على اللغة.
(٥) المصاحف، ص ١٧ .
(٦) انظر : الإتقان ج١ / ٧٧ .
(٧) نفسه، ج١ / ٧٧ .
(٨) انظر : الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٤٣ عن : روح المعاني، للألوسي.

الرسول ﷺ، ومن ثم فقد أحاط شك بهذه الرواية، ووُصِفَتْ بالمنقطعة أيضا[1] ولعل تشابه عبارة ابن بريدة هذه وعبارة ابن سيرين السابقة في عليّ بن أبي طالب يزيد من هذا الشك من جهة ويؤكد على أن العبارتين عبارة واحدة من جهة ثانية.

فهؤلاء ثلاثة ممن صاحب الرسول ﷺ وعايش خليفته أبا بكر، قيل إنهم جمعوا القرآن في مصاحف، غير أن جمعهم مطعون فيه كما أوضحنا أو أن ذلك الجمع لا يعدو إلا أن يكون ملحقا بجمع أبي بكر، فما هو هذا الجمع البكري؟.

ثانيا : جمع أبي بكر :

هو أهم جمع كتابي للقرآن الكريم لثلاثة أمور مهمّة هي :

(أ) أنه شمل القرآن كلّه مرتّبًا كما عُرِفَ عن النبي ﷺ في سوره.

(ب) كونه جاء في مرحلة دقيقة وحرجة للغاية، وهي المرحلة التي تلت وفاة الرسول ﷺ مباشرة، حدثت فيها ردّة كبيرة وصراعات كان نتيجتها موتُ خَلْقٍ كثيرين من بينهم عدد كبير من حفظة القرآن الكريم وقرائه الأمناء عليه، وقد كان هلاك هؤلاء والخوف من موت ما تبقى من أمناء القرآن أقوى سبب بَرَّرَ به الخليفتان أبو بكر وعمر إقدامهما على هذا الجمع بعد أن اقتنع بذلك بقية الصحابة[2].

(جـ) وهو مهم أيضا لكونه قد عُوِّلَ عليه بدرجة كبيرة جدًّا، فيما تلاه من جمع، ونعني به جمع عثمان رضي الله عنه.

عن زيد بن ثابت كاتب الوحي للرسول ﷺ قال : "أرسل إليّ أبو بكر مقتل[3] أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده.

---

(١) انظر : الجمع الصوتي، ص ٤٣، والإتقان ج١ / ٧٧ .

(٢) إنا لنشبه بهذا ما صدر مرارا من دعوات في الجزائر لإعادة كتابة تاريخ الثورة من أفواه المجاهدين قبل التحاقهم بالرفيق الأعلى.

(٣) مقتل : ظرف زمان، والمعنى : بعد يوم مقتل أهل اليمامة، واليمامة : معركة بين المسلمين أيام أبي بكر وبين مسيلمة الكذاب، وقعت سنة ١٢ هـ، وكان قائد المسلمين فيها خالد ابن الوليد.

ـ قال أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحرّ[1] يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل ـ بالقراء ـ بالمواطن[2] فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن.

ـ قلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟

ـ قال عمر : هذا والله خير.

فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

ـ قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبّع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن.

قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟

قال (أبو بكر) : هو والله خير.

فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال[3]، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري[4] لم أجدها مع

---

(١) استحرّ : اشتد، وفي "المقنع" لأبي عمرو الداني : "أسرع" بدل "استحر". انظر : طبعة دار الفكر، دمشق ١٩٨٣، ص ٣ .

(٢) المواطن : الأماكن التي يقع فيها القتال مع الكفار.

(٣) في رواية : "من الصحف والعسب واللخاف، وصدور الرجال" بزيادة "الصحف" انظر المصاحف ص ١٣، وفي أخرى : "من الرقاع والعسب واللخاف وصدور الرجال" بزيادة "الرقاع". انظر : المصاحف ص ١٤ .
وفي أخرى "من الأكتاف والأقتاب والعسب، وصدور الرجال" بزيادة "الأكتاف والأقتاب" انظر المصاحف ص ١٥ .

(٤) سورة التوبة، الآية ١٢٨، وفي رواية : أن الذي فُقِدَ هو ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ الأحزاب٢٣ . انظر: المصاحف ص ١٤ .

أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ حتى خاتمة براءة [فألحقتها في سورتها]، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه[1]".

ولعل أهم ما نخرج به من هذا النص السابق أن ثبوت الجمع الكتابي الكامل للقرآن مؤكد، وأنه قد حصل باتفاق الخليفتين وزيد بن ثابت على أن ذلك "خير" من أن يترك القرآن دونه لعدة عوامل ـ ذكرنا بعضها ـ خاصة منها ما لحق قراءه من هلاك يوم اليمامة[2].

ـ فيم جمع ؟

الأرجح أن زيد بن ثابت قد جمع القرآن في صحائف دون سواها مما كان قد استعمل في الكتبة الأولى على عهد الرسول ﷺ كما تذكر بعض الروايات[3]، قال ابن حجر العسقلاني : "إنما كان في الأديم والعسب أولا قبل أن يجمع في عهد أبي بكر، ثم جمع في الصحف في عهد أبي بكر كما دلت عليه الأخبار الصحيحة المترادفة[4]"، وهو رأي يتفق مع ما ذكره ابن الجزري حيث قال : إن أبا بكر "أمر زيد ابن ثابت بتتبع القرآن وجمعه، فجمعه في صحف[5]..." وروى السيوطي عن ابن شهاب أنه "لما أصيب المسلمون باليمامة فزع أبو بكر وخاف أن يذهب من القرآن طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم حتى جمع على عهد أبي بكر في الورق، فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في المصحف[6]".

---

(١) صحيح البخاري، ج٣/ ٣٢١ ، ٣٢٢، وانظر أيضا : أ ـ المصاحف : ص ١٢ ـ ١٥، ب ـ مقدمتان في علوم القرآن، ص ١٨ .جـ ـ البرهان ج١/ ١٣٣ ، ١٣٤، د ـ الفهرست ص ١٢١ ،١٢٢ . هـ ـ المقنع في رسم المصاحف، ص ٤ ـ ٥ . و ـ تاريخ القرآن، ص ٤٠ ، ٤١ . ز ـ الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) قيل : قتل من القراء يومها سبعون، وقيل : سبعمائة : انظر : الفرقان، ابن الخطيب محمد عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٣٤ .

(٣) من ذلك ما ذكره الدكتور شوقي ضيف حيث قال : "وكتبه زيد ومن أسهموا معه في هذا العمل الجليل في قطع الآدم وغيرها"، انظر : مقدمة كتاب السبعة في القراءات، ص ١٠ .

(٤) الإتقان، ج١/ ٧٨ . (٥) النشر، ج١/ ٧ . (٦) الإتقان ج١/ ٧٢ .

فهذا قول يؤكد على أن الجمع كان "في الورق" فقط، وأن ما كان قبل ذلك منه ـ على عهد الرسول ـ هو الذي تنوّعت مواد ما كان يكتب عليه، وهو ما تدل عليه عبارة "معهم وعندهم" فكلمة "معهم" تعني : ما كتب عليه القرآن من الأكتاف والعسب واللخاف والأقتاب والأضلاع مما كان لا سبيل إلى دسّه وإخفائه، وكلمة "عندهم" تعني : ما كتب عليه من الرقاع وقطع الأديم والكاغد والقماش والورق مما يمكن طيه ودسّه وحمله.

وتلاحظ أن ابن شهاب في هذا النص ـ السابق ـ يصرح أن جمع أبي بكر كان "في المصحف"، وإنما هي صحف كثيرة جمعت وضمت إلى بعضها فكانت قراطيس وهو ما نص عليه ابن شهاب نفسه فيما رواه عن سالم بن عبد الله بن عمر من أن أبا بكر جمع القرآن في قراطيس(١)، أي في صحف(٢)، أو أوراق منفصلة عن بعضها وليست في شكل الكتاب الذي نعرفه اليوم، وإنما جاز تسميتها بالمصحف لأنها كانت تحاط بعد جمعها بدفتين من الورق المقوى أو غيره مما كان قويا كالألواح(٣)، وإلى هذا المعنى أشار علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حديثه السابق عن أول جامع للقرآن حين قال عن أبي بكر : "هو أول من جمع بين اللوحين(٤)".

وهناك دليل آخر أكثر أهمية ودلالة على أن جمع أبي بكر هو جمع في صحف لا مصحف، ذلك هو ما روي عن الخليفة عثمان رضي الله عنه لما بعث ـ فيما بعد ـ إلى حفصة ابنة عمر وزوج الرسول ﷺ والأمينة على جمع أبي بكر حيث قال لها : "أن ارسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك(٥)". وزاد عثمان

---

(١) انظر : الإتقان، ج ١ / ٧٨ .

(٢) في لسان العرب أن القرطاس هو الصحيفة الثابتة التي يكتب فيها، وأن قوله تعالى : ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾ [الأنعام ٧] . معناه : في صحيفة، وكذلك قوله ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾ [الأنعام ٩١] : في صحف. انظر : ج٥ / ٣٥٩٢، مادة قرطس.

(٣) انظر معنى المصحف في : لسان العرب ج٤ / ٢٤٠٤ مادة "صحف".

(٤) المصاحف، ص ١١ .

(٥) النشر ج١ / ٧، والمصاحف، ص ٢٦، وانظر : معجم القراءات ج١ / ١١ .

رضي الله عنه في تأكيد ذلك بأن قال لمن ولا هم أمر النسخ: "أن انسخوا الصحف في المصاحف[1]". وفي البرهان للزركشي: "حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة[2]".

ويدعم ذلك أيضا ما أورده السجستاني في كتاب المصاحف من أن عثمان رضي الله عنه عندما أراد نسخ القرآن "أرسل إلى الربعة التي كانت في بيت عمر فيها القرآن[3]". والربعة هي الصندوق الذي حوى الصحف، سمي كذلك لأنه يشبه الربع وهو المنزل أو الدار[4]، والذي نميل إليه أنهم ما كانوا في حاجة إلى "ربعة" لولا كون المجموع من القرآن قد دوّن على صحف مستقلة عن بعضها[5].

والذي نراه - بعد هذا - أنه لا مانع من تسمية مجموع الصحائف مصحفا ما دامت قد ضُمّ بعضها إلى بعض فأصبح ميسورا حفظها وحملها، فإن وجودها على تلك الحال هو الذي رخص لهم تسميتها باسم "المصحف" بعد أن اكتمل جمع القرآن في الورق وربط، عن ابن شهاب قال: "لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق قال أبو بكر: التمسوا له اسما، فقال بعضهم: السِّفْرُ، وقال بعضهم: المُصْحَفُ، فإن الحبشة يسمونه المصحف[6]...".

ويجوز تسمية الصحيفة الواحدة مصحفا كما جاز تسمية الكتاب صحيفة، ومما يدل على ذلك أن الرسول ﷺ نهى "أن يسافر بالمصاحف إلى أرض العدو مخافة أن ينالوها[7]." فإذا علمت أنه لم تكن في عهده ﷺ مصاحفُ بالمعنى المتعارف عليه أدركت أن المقصود ما هو إلا صحائفُ أو صحفٌ مما كان من الكتبة الأولى.

---

(١) المصاحف، ٢٦. (٢) البرهان ج١/٢٣٦.

(٣) المصاحف، ص ٣٣. (٤) انظر معنى الربعة في: لسان العرب ج٣/١٥٦٣ مادة "ربع".

(٥) وإلى هذا ذهب الشيخ محمد بخيت المطيعي فيما نقله عن ابن حجر العسقلاني، انظر: الكلمات الحسان، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٢، ص ٥٠.

(٦) الإتقان، ج١/٦٩، وانظر: خطوط المصاحف، محمد بن سعيد شريفي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨٢، ص ١٧.

(٧) المصاحف، ص ٢٠٦، وانظر: الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٦٨، والواو في "ينالوها" تعود على الأعداء.

إنّ الذي يهم أكثر من هذا كله هو أن الجمع الكتابي الكلي البكري كوسيلة من وسائل توثيق النص القرآني ثبت أنه قد تمّ بعد أن اجتمع رأي أبي بكر ورأي عمر ورأي زيد وبقية الصحابة.

- منهج الجمع

تمّ ذلك وفق منهج واضح ومحدد أعان على وقاية القرآن من كل ما لحق النصوص الأخرى من مظنّة الوضع والانتحال، وعوامل النسيان والضياع[١]. فقد عمد أبو بكر رضي الله عنه إلى جمع الحفظة المشهود لهم بالإتقان، وكان منهم زيد ابن ثابت، وأبيّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعثمان بن عفان، وعلي ابن أبي طالب، وطلحة، وحذيفة بن اليمان، وأبو الدرداء، وأبو هريرة، وأبو موسى الأشعري، فاجتمعوا برئاسة زيد بن ثابت في دار عمر بن الخطاب يتشاورون في طريقة جمعه، ثم أخذوا يجتمعون في المسجد النبوي، وأحضروا كل ما كتبوه بين يدي الرسول ﷺ وبإملائه، وعهدوا إلى بلال بن رباح أن ينادي في المدينة بجمع القطع التي عليها قرآن مكتوب بمحضر الرسول وإملائه، وأمر أبو بكر زيدا أن يكتب القرآن كله على الترتيب[٢] الذي تلقاه هو ومن معه من الحفظة عن الرسول ﷺ بنفس الألفاظ، ونفس الحروف، ونفس الصورة في العرضة الأخيرة التي تدارس فيها الرسول القرآن مع جبريل بعد تمامه[٣].

وقد تم لزيد بن ثابت ورفاقه من الحفظة ذلك وفق خطة يمكن تلخيصها فيما يلي[٤]:

---

(١) انظر: الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص٣٧ .

(٢) وهو الترتيب الذي عليه القرآن اليوم في سوره وآياته، ويرى بعضهم أن ذلك الجمع كان مرتب الآيات في سورها ومن غير ترتيب السور بعضها إثر بعض، انظر : الكلمات الحسان في الحروف السبعة وجمع القرآن، الشيخ : محمد بخيت المطيعي، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٢، ص ٥٠ .

(٣) مقدمة كتاب السبعة في القراءات، ص ١٠ .

(٤) انظر : الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٣٧ ، ٣٨ .

١ ـ كان كل من تلقى من الرسول ﷺ شيئا من القرآن يأتي به على أي حرف من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.

٢ ـ لا يكتب إلا ما ثبت كتابته بين يدي رسول ﷺ، فلا يعتمد في ذلك على مجرد الحفظ ولكن مع المبالغة في الاستظهار، وما ثبت أنه عُرض على النبي ﷺ عام وفاته دون ما كان مأذونا فيه قبل العرضة الأخيرة.

٣ ـ يتم كتابتهم للآيات والسور على الترتيب والضبط اللذين تلقاهما المسلمون عن رسول الله ﷺ.

٤ ـ لا يقبل من أحد ممن جاء بقرآن حتى يشهد شاهدان، قيل يشهدان بأن المكتوب من القرآن الذي جيء به قد كتب بين يدي رسول ﷺ وعلى مسمع منه(١)، وقيل يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن(٢)، وقيل يشهدان على أن ذلك مما عرض على النبي ﷺ عام وفاته(٣)، وقيل: المراد بها الكتابة والحفظ(٤).

ومما يلي يدل على حرص اللجنة وتشبثها بمبدأ الشاهدين أن عمر بن الخطاب جاء بآية الرجم "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم(٥)" فلم يكتبها زيد لعدم وجود شاهد ثان، وذلك مبالغة منه في الاحتياط وإدراكه للمهمة العظمى الملقاة على عاتقه، بل أكثر من ذلك لم يكتب آيتي آخر سورة التوبة ـ كما مر ـ مع حفظه هو لذلك حتى جاء بهما أبو خزيمة الأنصاري.

٥ ـ وفوق هذا كان زيد وعمر ـ بأمر من الخليفة أبي بكر ـ يقعدان على باب المسجد يسألان عن صحة ما جُمع حتى يتثبتا تثبتا لا يحسان معه بأي صورة من الشك كيفما كانت درجة بساطتها أو حتى تفاهتها. وقد ذهب بعضهم إلى أن لجنة

---

(١) انظر: الفرقان، لابن الخطيب، ص ٣٦.
(٢) انظر: الإتقان، ج١ / ٧٧.
(٣) انظر: الإتقان، ج١ / ٧٨.
(٤) انظر: الإتقان، ج١ / ٧٧، والجمع الصوتي الأول للقرآن ص ٣٨.
(٥) انظر: الفرقان، ص ٣٦، والقراءات الشاذة وتوجيهها النحوي ص ٣٢.

الجمع هذه قد عوّلت كثيرا على ما جمع في عهد الرسول ﷺ، وذلك ما نص عليه الحارث المحاسبي في قوله : "كتابة القرآن ليست بمحدثة، فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقا في الرقاع والأكتاف والعسب، فإنما أمر الصّديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعًا، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول ﷺ فيها القرآن منتشرا، فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء[1]".

إن زيدا ورفاقه رضي الله عنهم قد اجتهدوا وأخلصوا في ذلك فاستعملوا كل الوسائل الموضوعية المتاحة، وكان غرضهم في ذلك كما قال أبو شامة الدمشقي "أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي ﷺ، لا من مجرد الحفظ[2]" فكان أن التقى المحفوظ بالمكتوب في ذلك[3].

ومما لا شك فيه أن اختيار زيد بن ثابت لرئاسة هذا الجمع قد زاد من كماله وتمام توثيقه لما كان فيه من ميزات حسنة لا تتوفر في غيره، فهو الشاب القادر على تحمل الأعباء ـ كما وصفه الصديق ـ وهو الحافظ المجوّد، وهو كاتب الوحي الأمين عليه، وهو الذي حضر العرضة الأخيرة التي استقر عليها نص القرآن، فهو مع كل هذا أهل لهذه المهمة، لا ينافسه فيها أحد.

ثالثا : جمع عثمان

هو عبارة عن توحيد للصحف والمصاحف في مصحف واحد درءاً للاختلافات التي انتشرت على عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلئن كان جمع أبي بكر للقرآن في الصحف بسبب الخوف على ضياع كثير من القرآن بعد موت كثير من حفظته أيام حروب الردة، إن سبب جمع عثمان له في مصحف واحد أو مصاحف عدة كان بنية القضاء على الاختلافات التي شاعت ـ على أيام خلافته ـ بين القراء حتى

---

(١) الإتقان، ج١ / ٧٨ . (٢) الإتقان، ج١ / ٧٧ .
(٣) انظر : معجم القراءات ج١ / ١٠ .

بلغ الأمر إلى حد المراء في القرآن، وهو فعل نهى الرسول ﷺ عنه فقال : "ولا تماروا فيه، فإن المراء فيه كفر".

ـ أسباب الجمع

إن ما حدث من اختلافات بين الصحابة ـ في العهد النبوي ـ في القراءة قد لقي إجابة وحلا له بمجرد احتكامهم إلى الرسول ﷺ، أما اختلاف بعضهم وبعض التابعين في الأمر نفسه على عهد الخليفة عثمان فإنه كان بعيدا عن معاينة صاحب الشرع ﷺ، ثم إن كثيرا منهم لم يعلموا بما أبيح من ذلك على أيامه، فوجدت كل فريق أو قارئ يتعصب لقراءة ما وينكر ما عداها مما قرأ به غيره، فأدى ذلك إلى حدوث خصام(١).

وقد تنوعت تلك الاختلافات فكانت تتوزع على :

١ ـ ألفاظ مختلفة في السمع لا في المعنى كالفتح والإمالة والتفخيم والترقيق، ويعود ذلك حتى إلى أيام الوحي الأولى حيث كان الحفظة يختلفون في بعض الأداء حسب سماعهم من الرسول ﷺ(٢).

٢ ـ ألفاظ مختلفة في السمع والمعنى، كقراءة "يسيّركم" و"ينشركم" "من قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢] وقراءة "لله" و"للبيت" من قوله تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦](٣).

٣ ـ ألفاظ أو عبارات مختلفة في الإثبات والحذف، مثل ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [الليل: ٣] التي قرئت أيضا " والذكر والأنثى" بحذف "ما خلق" وهي منسوبة لابن مسعود وأبي الدرداء.

---

(١) انظر ذلك في : الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٤٥، وهو رأي أبي مكي بن أبي طالب القيسي في كتابه : الإبانة عن معاني القراءات.

(٢) انظر : مقدمة كتاب السبعة في القراءات ص ١٠، ١١.

(٣) انظر : المصاحف، ص ١٨.

٤ ـ ألفاظ مختلفة في بعض الحركات، مثل ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١] : قرأها حمزة والكسائي بضم الياء في الأولى فعل مبني للمجهول، وفتح الياء في الثانية ، فعل مبني للمعلوم، وقرأها بقية السبعة بفتح الياء في الأولى وضمها في الثانية.

٥ ـ ألفاظ مختلفة في بعض الحروف مثل ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩] قرأها علي بن أبي طالب "طلع منضود" بالعين بدل الحاء(١).

لقد كانت هذه الأمثلة ونظيرتها مما شاع بين قراء القرآن الكريم في الأقاليم الإسلامية سببا كافيا مقنعا لدفع الخليفة عثمان للإقدام على توحيد مصادر القراءة قطعا لاختلاف الأمة وتوثيقا لنص القرآن وحمايته من التشويه أو التحريف الذي قد يلحقه من جراء تلك الاختلافات التي أصبحت تشكل المدخل إلى المتربصين بالقرآن وأهله خاصة بعد بُعد الزمان عن عهد الرعيل الأول من الصحابة وبعده عن قائدهم وقاضيهم الموحى إليه ﷺ، وذلك هو مضمون قول الإمام ابن حزم: "إنما خشي ـ عثمان رضي الله عنه ـ أن يأتي فاسق يسعى في كيد الدين، أو أن يهمَ واهم فيكون اختلاف يؤدي إلى الضلال، فكتب مصاحف مجتمعا عليها، وبعث إلى كل أفق مصحفا لكي إن وهم واهم أو بدّل مبدّل رُجع إلى المصحف المجتمع عليه، فانكشف الحق وبطل الكيد والوهم(٢)" وقال أبو عمرو الداني : "وقيل إنما جمع ـ عثمان ـ الصحف في مصحف واحد لما في ذلك من حياطة القرآن وصيانته وجعل المصاحف المختلفة مصحفا واحداً متفقا عليه، وأسقط ما لا يصح من القراءات ولا يثبت من اللغات(٣)".

وقد ثبت أن رجال الجدل المسيحيين اتخذوا ما انفرد به ابن مسعود من زيادات في مصحفه حجة للطعن في صحة القراءة المشهورة(٤).

---

(١) انظر : الجمع الصوتي الأولى للقرآن ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) الجمع الصوتي الأولى للقرآن، ص ٥٧ عن : الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/٧٧ .

(٣) المقنع، ص ١٢٠ .

(٤) انظر : مذاهب التفسير الإسلامي ـ جولد تسيهر، دار اقرأ، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٣، ص ١٦ .

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك "أن حذيفة بن اليمان[1] قدم على عثمان بن عفان خليفة المسلمين، في حدود الثلاثين للهجرة[2] وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافُهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد ابن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام، فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أنْ يُحْرَقَ[3]".

وروى بعضهم أن زيد بن ثابت ـ رئيس لجنة النسخ ـ قال : "فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب : ٢٣] فألحقناها في سورتها في المصحف[4]".

وفي النشر لابن الجزري أن عثمان رضي الله عنه كتب من المصاحف ثمانية "فوجه بمصحف إلى البصرة، ومصحف إلى الكوفة، ومصحف إلى الشام، وترك

---

(١) صحابي مشهور وراو لحديث الرسول ﷺ، شهد أحدا، وولاه عمر بن الخطاب على المدائن في العراق، وكان من الفاتحين الشجعان.

(٢) هذا الذي أثبته ابن الجزري في النشر (ج١ / ٧) موافقة لغيره، وقيل : كان ذلك سنة ٢٥ هـ، انظر : الجمع الصوتي، ص ٤٥، وقال ابن حجر : كان ذلك سنة ٢٥ بعد مضي سنتين وثلاثة أشهر من خلافة عثمان. انظر : معجم القراءات ١ / ٦١ .

(٣) صحيح البخاري ج٣ / ٣٢٢ .

(٤) الإتقان ج١ / ٧٩، والمصاحف، ص ٢٦، ٣٧ .

مصحفا بالمدينة، وأمسك لنفسه مصحفا الذي يقال له الإمام[١]"، ووجه بمصحف إلى مكة، وبمصحف إلى اليمن، وبمصحف إلى البحرين[٢]".

وروى الداني ذهاب أكثر العلماء إلى "أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ ... فوجه إلى الكوفة إحداهن، وإلى البصرة أخرى، وإلى الشام الثالثة، وأمسك عند نفسه واحدة[٣]".

ويبدو أن حذيفة بن اليمان كان له الدور الأكبر في : إقدام الخليفة عثمان على نسخ هذه المصاحف بعد ما راج من اختلاف القراء، حيث يروى عنه - إضافة إلى ما ورد في النص السابق - أنه كان يضيق صدره لما كان يسمعه في مساجد العراق من انقسام الناس بين قراءتيْ عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري، فكان يقول : "والله إن بقيت حتى آتي أمير المؤمنين - عثمان - لأمرته بجعلهما قراءة واحدة[٤]" ومما زاد في غضبه أكثر أن سمع اثنين اختلفا في سورة البقرة، فقرأ أحدهما : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ وقرأ الآخر: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ للبيت[٥] ﴾ فكان أن سعى

---

(١) كانت صحف أبي بكر - من قبل - قد سميت "المصحف الإمام" وهي أولى بذلك لعلتين: الأولى : لأنها أول ما جمع من القرآن جمع تدوين كامل، والثانية : لأنها قد عوّل عليها في نسخ مصاحف عثمان.
أما تسمية مصحف عثمان "الخاص" بذلك فلأن صاحبه خليفة المسلمين وإمامهم، وأنه ما استشير - مستقبلا - في شيء من القرآن إلا كان ذلك المصحف دليله.
ويجوز تسمية كل مصحف من المصاحف التي نسختها لجنة زيد بن ثابت بإشارة من الخليفة عثمان بالمصحف الإمام، لأن كل مصحف من تلك المصاحف في مصر هو الإمام، والدليل على ذلك أن عثمان لما أراد كتابة ذلك خطب في المهاجرين والأنصار وقال : "اجتمعوا يا أصحاب محمد واكتبوا للناس إماما" (المصاحف ٢٩) فحق أن يكون كل ما كتب بإشارته إماما.

(٢) النشر، ج١ / ٧ . وفي كتاب المصاحف : "كتب سبعة مصاحف" (ص ٤٣) أي أن الذي ترك في المدينة هو نسخة واحدة.

(٣) المقنع، ص ٩، وانظر : البرهان ١ / ٢٤٠، وقد ذكر الدكتور حسن عون أن تلك المصاحف كانت أربعة وجه بواحدة منها إلى مصر، ولم يذكر ذلك غيره، انظر : اللغة والنحو، الطبعة الأولى ١٩٥٢ الإسكندرية ص ٢٠٢ .

(٤) المصاحف، ص ٢٠ .

(٥) انظر : المصاحف، ص ١٨ .

في حث الخليفة على توحيد المصاحف .وقد صادف أنّ عثمان كان وقع له نحو ما وقع لحذيفة من سماع بعض تلك الاختلافات إذ كان "المعلم يعلّم قراءة الرجل، والمعلم يعلّم قراءة الرجل[١] فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون... حتى كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمان فقام خطيبا فقال : أنتم عندي تختلفون فيه .. فمن نأى عنّي من الأمصار أشد فيه اختلافا [٢]..".

فلما جاءه حذيفة وأعلمه باختلاف الأمصار زاد اقتناعه بأنه لا مناص من توحيد المصاحف فقام في المهاجرين والأنصار خطيبا : "ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول : قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفراً. قلنا (أي الصحابة) : فما ترى؟ قال : أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف .قلنا : فنعم ما رأيت[٣]" فكان منه ما أراد.

وقد وافقه الصحابة على توحيد المصاحف ورضي الناس به. وقد تم كتابته على ترتيب التلاوة لا على ترتيب النزول[٤]، فزاد بذلك بأن رتب السور بعضها إثر بعض بعد أن جُمعت كلها من طرف لجنة أبي بكر ولكن من غير ترتيب[٥].

وروى ابن أبي داود بإسناد صحيح عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال : "أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك ولم ينكر ذلك منهم أحدٌ[٦]".

وخطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : "يا أيها الناس لا تغلو في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرا في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي

---

(١) أي : يعلّم قراءة رجل قارئ آخر غير الأول.
(٢) المصاحف، ص ٢٨ ، ٢٩، وانظر : الجمع الصوتي، ص ٤٦ .
(٣) المصاحف، ص ٣٠ . وانظر : الجمع الصوتي، ص ٤٧ .
(٤) انظر : البرهان، ج ١ / ٢٣٧ .
(٥) انظر : الكلمات الحسان في الحروف السبعة وجمع القرآن، ص ٥٠ .
(٦) المصاحف، ص ١٩ .

فعل في المصاحف إلا عن ملإٍ منّا جميعا"[١] وروي عنه أنه قال لما حرق عثمان المصاحف "لو لم يصنعه عثمان لصنعته[٢]".

ونسب إلى عبد الرحمن بن مهدي أنه قال : خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبي بكر ولا عمر :صَبْرُه نفسه حتى قُتِل مظلومًا، وجمعه الناس على المصحف[٣]".

وقال الإمام الزركشي مثنيا على فعل عثمان : "وفي الجملة إنه إمام عدل غير معاند ولا طاعن في التنزيل، ولم يحرق إلا ما يجب إحراقه، ولذا لم ينكر عليه أحد ذلك، بل رضوه وعدّوه من مناقبه[٤]".

لقد توّج رضى عبد الله بن مسعود رضى الجميع على فعل عثمان في المصاحف، وذلك على الرغم مما مسّه بخصوص هذا الأمر حيث استبعد من الجمع أولا ثم أحرق مصحفه، ولكنه عاد بعد جفاء وإصرار ليعلن رضاه بفعل عثمان الذي وافقه عليه الصحابة، وقد علل ابن مسعود رضاه بعمل عثمان بكون الكتب المقدسة قبل القرآن قد نزلت على حرف واحد أو باب واحد[٥].

ـ منهج الجمع

ويمكن تلخيص منهج لجنة نسخ المصاحف العثمانية كما يلي :

١ ـ الاعتماد على جمع أبي بكر السابق، وهو الجمع الذي اعتمد على ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ أو بموافقة منه، وقد أوضحنا ذلك.

٢ ـ يتم النسخ بتعاهد الخليفة عثمان للجنة[٦] ، حيث كان رضي الله عنه يراجع ما يكتبونه كلمة كلمة وحرفا حرفا، ويصلح ما فاتهم سهوا[٧] . ومما راجعه وصححه "لم يتسن" جعلها ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩] ، و" أمهل الكافرين" : جعلها ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ [الطارق: ١٧][٨] .

---

(١) المصاحف، ص ٣٠ .
(٢) نفسه، ص ١٩ .
(٣) نفسه، ص ١٩ .
(٤) البرهان، ج١/ ٢٤٠ .
(٥) انظر : المصاحف، ص ٢٥ .
(٦) انظر : الإتقان ج١ /٧٩ .
(٧) انظر : الفرقان، ص ٤٠ .
(٨) انظر : الفرقان، ص ٤٠ .

٣ ـ إذا اختلفوا في آية تركوا لها مكانا حتى يشهد من هو أعلم بها، روى السيوطي عن أنس بن مالك بسند، قال : "فكانوا إذا اختلفوا وتدارءوا[١] في أي آية قالوا : هذه أقرأها رسول الله ﷺ فلانا، فيرسل إليه وهو على رأس ثلاث[٢] من المدينة، فيقال له : كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا؟ فيقول : كذا وكذا، فيكتبونها وقد تركوا لذلك مكانا[٣]".

٤ ـ يقتصر عند اختلاف أعضاء اللجنة على لغة قريش ـ كما مر في حديث سابق ـ من ذلك اختلافهم في ﴿التَّابُوتُ﴾ [البقرة : ٢٤٨] و"التابوه"، فقال النفر القرشيون : التابوت، وقال زيد : التابوه، فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال : اكتبوه : التابوت، فإنه بلسان قريش[٤].

٥ ـ تحتاط اللجنة في الألفاظ المتواتر نطقها على أكثر من وجه فتبقيه خاليا من أي علامة مثل كلمة "ملك" في سورة الفاتحة التي جردت من الألف لتواتر قراءتها بها وبدونها. وقد جردت المصاحف العثمانية جميعها ـ التي نسختها اللجنة ـ من الشكل والإعجام للغاية نفسها، أما إذا كان الاختلاف المتواتر في غير ما كانت صورة رسمه واحدة، فإن اللجنة تكتبه برسم في مصحف وبالرسم الآخر في مصحف آخر[٥].

٦ ـ يمنع كتابة ما نسخت تلاوته، وما لم يكن في العرضة الأخيرة، وما كانت روايته آحادا، وما لم تعلم قرآنيته كالشروح التي كان بعض الصحابة يكتبونها مختلطة بالقرآن.

---

(١) تدارءوا : تدافعوا واختلفوا (٢) على رأس ثلاث : أي ثلاث ليال.
(٣) الإتقان : ج١/٧٩، وانظر : المقنع ص ٧٠، وفيه أنه "يجاء به" فيشهد أمام اللجنة. وانظر: المصاحف ص ٢٩ .
(٤) انظر المصاحف، ص ٢٦ .
(٥) أحصي من ذلك فيما سمي باختلاف مرسوم المصاحف العثمانية تسعة وأربعون (٤٩) حالة، انظر : القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني، ص٩٢ .

٧ ـ تراعي اللجنة في ترتيب السور والآيات ما كان قد روعي في جمع أبي بكر وثبت أنه منقول عن الرسول الله ﷺ فيما كان يكتب بين يديه.

٨ ـ بعد الفراغ من كتابة المصحف يراجعه زيد بن ثابت رئيس اللجنة ثم يراجعه عثمان خليفة المسلمين نفسه قبل حمل الناس عليه.

وهذه جميعها خطوات فيها جهد كبير ـ كما ترى ـ وهي على درجة عالية من الدقة والحيطة.

ثم إن أمير المؤمنين ـ بعد هذا ـ قد قام بتعيين فئة من المقرئين المجوّدين صَاحَبَ كل واحد منهم المصحف المرسل إلى مَصْرٍ من الأمصار[١]، فأرسل إلى مكة المكرمة عبد الله بن السائب المخزومي، وأرسل إلى الكوفة أبا عبد الرحمن السلمي، وأرسل إلى البصرة عامر بن عبد قيس، وأرسل إلى الشام المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، واستبقى في المدينة زيد بن ثابت.

وقد أقرأ هؤلاء أهلَ الأمصار بما في مصحفهم كما تلقوه هم من الصحابة الذين تلقوه هم بدورهم عن الرسول ﷺ مشافهة[٢].

وقد كانت الغاية المثلى من هذا التوثيق : كما علمت ـ جمع الناس على المتواتر من القرآن وترك ما كان غير ذلك مما كان في مصاحف بعض الصحابة على وجه خاص، وكذلك ما كان في بعض الصحف الأخرى سواء كانت مملوكة لشخص معين أو كانت غير ذلك، ولعل تلك المصاحف التي كانت تتداول في العراق بالكوفة والبصرة كانت أقربها جميعا إلى دفع أمير المؤمنين عثمان إلى توحيد المصحف بعدما بلغه من أمر اختلافها، وقد كان أكثر تلك الاختلافات مصدرها مصحفا عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري.

---

(١) انظر : تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، ص ٨٣ .
(٢) انظر : النشر في القراءات العشر، ج١/ ٨ .

ـ شيوع مصاحف خاصة

إن انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وما استجد بعد ذلك من ظروف قد نتج عنه عوامل جعلت بعض الصحابة يكتبون لأنفسهم مصاحف خاصة، من تلك العوامل نذكر عاملين هما :

(أ) خوف الصحابة من ضياع القرآن بعد انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وحدوث ما حدث من ردّة بعد ذلك أشعلت حروبا قتل فيها خلق كثير خاصة من حفظة القرآن الكريم.

(ب) إقتداء الصحابة وبعض التابعين بما قام به الخليفة أبو بكر وصحبه عمر ابن الخطاب، فألفيت كل من توفرت له إمكانيات الجمع إلا وقام به، خاصة من كُتّاب الوحي الذين كانوا يكتبون لرسول الله ﷺ[1].

وكان بعضهم قد كتب لنفسه مصحفا بدعوى أنه أولى بذلك من غيره وهو ما نسب لابن مسعود، أو بدعوى أخرى مبطنة كما قيل في جمع علي وعائشة رضي الله عنهما، فقد قيل إن ابن مسعود أنكر ـ في بادئ الأمر ـ جمع القرآن على حرف زيد بن ثابت[2] بدعوى أنه أولى منه بالجمع وأنه أعلم بالقرآن حفظا، فقد قيل إنه حفظ منه سبعين سورة وزيد لا يزال طفلا صغيرا، وأنه أعلم من غيره بمناسبات نزوله ومواضعه وأوقاته[3]. وأما ما نسب لعلي وعائشة من دعوى مبطنة فإنها دعوى لا تخرج عن كونهما من أهل البيت وعدم رضاهما على بيعة أبي بكر في بادئ الأمر ثم تشبثهما بمحفوظهما من القرآن قبل العرضة الأخيرة. ونحن لا نستبعد أن يكون غلاة الشيعة وراء هذه الدعوات جميعا، ومما يدل على ذلك أنهم ظلوا متمسكين

---

(١) ذكر ابن أبي داود واحدا وعشرين مصحفا للصحابة والتابعين. انظر : المصاحف، ص ٦٠ وما بعدها.

(٢) نسب إلى الخليفة عثمان أنه قال : "إني رأيت أن أكتب مصاحف على حرف زيد بن ثابت ثم أبعث بها إلى الأمصار." انظر : مقدمتان في علوم القرآن ص ٢٠ .

(٣) انظر : المصاحف، ص ٢١، ٢٣، ٢٤ .

بمصحف ابن مسعود وفضلوه على المصحف العثماني، ومن طريف ما يروى في هذا الإطار "أن الشيعي الإمامي كان إذا حلف قال : إنني إذا نقضت يميني وقعت في كذا وكذا من الآثام، وأدخلت في القرآن ما لم يثبته ابن مسعود[١]" وتذكر بعض الدراسات أنه قد بقي بأيدي الشيعة مصاحف يقولون "إنها بخط عليّ أو بعض أبنائه أو أحد أهل البيت[٢]".

إن مصاحف الصحابة بما احتوت عليه من اختلافات بينة توحي بأن الأصل الذي اعتمد في نسخها لم يكن جمع أبي بكر كما كان أصل جمع عثمان، بل الأصل فيها ما كان قبل العرضة الأخيرة بما في ذلك بعض المنسوخ من القرآن أو بعض الشروح والإيضاحات، وقد أكد على ذلك بعض الدارسين فقال : "وأما ما روي من اختلاف مصاحف الصحابة عن المصحف العثماني، فمن أسبابه أنه لم يبلغهم النسخ، فاستمروا في كتابته وقراءته قبل المصاحف العثمانية وإجماع الصحابة عليها[٣]".

والأرجح أن تلك المصاحف قد ألفت بعد الجمع البكري، وليس قبل ذلك[٤]، إنما الذي كان قبل ذلك هو عبارة عن تأليفات مبتورة في صحف لا مصاحف، ونحسب أن تلك المصاحف لو اعتمدت على جمع أبي بكر لانتفت فيها تلك الاختلافات الكثيرة التي من أمثلتها :

ـ أنّ أبيّ بن كعب قرأ في سورة النساء (الآية ٢٤) : ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ بزيادة "إلى أجل مسمى"، وقرأ من سورة البقرة (الآية ٢٢٦) : "للذين يقسمون" بدل ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾.

ـ وأن ابن مسعود قرأ في سورة النساء (الآية ٤٠) : " إن الله لا يظلم مثقال نملة

---

(١) الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٣٢٠ .
(٢) نفسه، ص ٣٢٢ .
(٣) القراءات واللهجات، مرجع سابق، ص ٤٢ .
(٤) ذهب بعضهم إلى أن تأليف تلك المصاحف كان في عهد الرسول ﷺ. انظر : القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص ٢٤ .

" بدل ﴿ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾، وقرأ في سورة آل عمران (الآية ٤٣) : "واركعي واسجدي في الساجدين" بدل ﴿ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾، وقرأ في سورة البقرة (الآية ١٠٦) : "وما ننسك من آية أو ننسخها " بدل ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ وقرأ في سورة العصر (الآية ٢) : " إن الإنسان لفي خسر وإنه فيه إلى آخر الدهر" بزيادة "وإنه فيه إلى آخر الدهر".

- وأن ابن عباس قرأ في سورة البقرة (الآية ١٣٧) : "فإن آمنوا بالذي آمنتم به فقد اهتدوا " بدل ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ ﴾ وذلك على القراءة بالمعنى لاعتقاده أنه لايجوز أن نقول "مثل" لأن الله ليس له مثل، وقرأ أيضا في سورة البقرة (الآية ٢٣٨) : "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر" بزيادة "وصلاة العصر[١] ".

فهذه نماذج لتلك الاختلافات ذكرناها هنا على سبيل التمثيل لا الحصر، فقد وجدت أمثلة كثيرة شبيهة بها في مصاحف بقية الصحابة والتابعين، ولا يبعد أن يكون معظم تلك الاختلافات - كما توضحه الأمثلة السابقة - أن يكون من باب التفسير والإيضاح، أو مما كان قبل العرضة الأخيرة.

ومع كون تلك المصاحف مصاحف خاصة بأصحابها من الصحابة وبعض التابعين إلا أنها تركت انطباعا سيئا، بل إنها ألحقت ضررا بأهل القرآن واعتبرت نقطة سوداء باتخاذها منحى معاكسا لتوثيق النص القرآني، ولكن قيام أمير المؤمنين عثمان بتوحيد المصاحف قطع دابرها ووضع حدًا لها، ورأب صدع الأمة ولمّ شملها وجمعها على ما تواتر من الأحرف واشتهر، وهو الذي ضمنته العرضة الأخيرة وصح عن رسول الله ﷺ واستفاض[٢]. وقد ساعده على ذلك اجتماع رأي الأمة وتفهم الصحابة والتابعين ممن كان لهم مصحف خاص فسلموه له لإتلافه بعد أن تبين لهم أن فعل الخليفة حق وهو أولى بالاتباع.

---

(١) انظر : الفرقان، ص ١٠٦ وما بعدها.

(٢) انظر : منجد المقرئين، ص ١١١ .

ـ ما الذي حوته المصاحف العثمانية من الأحرف السبعة؟

لقد اختلف علماء القراءات في ما الذي حواه المصحف العثماني المنسوخ من القراءات التي كان الناس يقرؤون بها قبله فانقسموا إلى قسمين[1].

(أ) القسم الأول : يرى أن المصاحف العثمانية ضمت الأحرف السبعة كلها بدليل:

١ ـ أنه لا يتصور اجتماع الصحابة على ترك قراءة قبض رسول الله ﷺ عليها.

٢ ـ أن المصاحف العثمانية منسوخة من مصحف الصديق وهي قد حوت ما استقر في العرضة الأخيرة.

٣ ـ أن عثمان لا يقدر على فرض حرف واحد دون الستة الباقية لتعدد القراء في الأمصار.

٤ ـ أنه لم يرد في خبر صحيح أن عثمان أمر كُتَّاب المصاحف أن يقتصروا على حرف واحد.

٥ ـ أن في المصاحف العثمانية اختلافات كثيرة مما يدل على أنها لم تكتب بحرف واحد فقط.

(ب) القسم الثاني : يرى أن المصاحف العثمانية احتوت على حرف واحد بدليل:

١ ـ أن الأمر بالأحرف السبعة لم يكن أمر وجوب وفرض، وإنما كان أمر إباحة ورخصة.

٢ ـ أنه كان يلزم لكتابة المصحف بالأحرف السبعة أن يكتب على سبع قراءات.

٣ ـ أن عثمان قد اقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجا بأنه نزل بلغتهم، وأن التوسعة في القراءة بغير لغتهم كانت رفعا للحرج والمشقة في أول الأمر فقط.

---

(١) انظر : الاحتجاج للقراءات الشواذ، ص ٣٨ ـ ٤١ .

٤ ـ إذا قيل : إن المصاحف العثمانية محتوية على الأحرف السبعة، كان ما خالف الرسم يقطع بأنه ليس من الأحرف السبعة، وهذا قول محظور لأن كثيرا مما خالف الرسم قد صح عن الصحابة عن النبي ﷺ.

وقد وصف ابن الجزري قضية اشتمال المصاحف العثمانية على الأحرف السبعة أو عدم اشتمالها عليها كلها بأن تلك "مسألة كبيرة اختلف العلماء فيه[١]" ويمكن تلخيص ما انتهى إليه ابن الجزري ـ في هذا الأمر ـ في ثلاث فرق[٢].

(أ) ذهاب جماعات من الفقهاء والمتكلمين إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة.

(ب) ذهاب بعض العلماء والأئمة إلى أن هذه المصاحف مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة.

(جـ) ذهاب بعض العلماء منهم محمد بن جرير الطبري إلى أن تلك المصاحف مشتملة على حرف واحد هو حرف قريش، أما الترخيص في الأحرف السبعة فكان في بداية الإسلام.

وبعد، فهكذا كان توثيق نص القرآن الكريم، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، صانه الله تعالى فقال ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ، وصانه رسوله الله ﷺ التزاما بأمر ربه في قوله ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧] وقوله ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وصانه الصحابة في حياته ﷺ فحفروه في صدورهم وخطوه في صحائفهم، واحتضنوه من بعده فدوّنوه مجتمعا كله في مصاحف اعتمدوا فيها على الأصل المسموع من في رسول الله ﷺ الذي ثبت في العرضة الأخيرة.

---

(١) النشر في القراءات العشر، ج١ / ٣١ . (٢) انظر : النشر، ج١ / ٣١ـ٣٣ .

وقد أجمع بعد ذلك على مبدأ عصمة النص القرآني من الزيغ والعبث والأهواء مثل ما حدث لبعض النصوص الأخرى المقدسة، وقد أيقن الباحثون أن النص الذي تنزل به جبريل الأمين على النبي ﷺ هو النص عينه الذي قرأه الناس في القرون الخالية، وهو النص الذي يقرؤه الناس اليوم أيضا.

ومع أن كثيرا من الباحثين الغربيين تناولوا بالتحليل والنقد سلامة النصوص المقدسة، وجزموا بتحريف كثير منها، غير أنهم لم يطالوا سلامة النص القرآني إلا ما كان من بعض أصحاب الهوى الذين لم يجدوا من يهتم بأقوالهم وأفكارهم التي تفتقر إلى أدنى درجات التحقيق العلمي، ولعل أبرز مثال على سلامة النص القرآني عند هؤلاء هي تلك الصورة التي رسمها "موريس بوكاي" المفكر الفرنسي في دراسة بعنوان : "دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة" انتهى فيها إلى إثبات التحريف في التوراة والإنجيل، وسلامة القرآن من أي تحريف أو تبديل أو تغيير نتيجة توثيقه من خلال تلك الوسائل والكيفيات التي عرضنا لها فيما سبق. ولقد أدت نتائج هذه الدراسة، وثبوت توافق القرآن مع المعطيات العلمية الحديثة إلى إعلان صاحب الدراسة (موريس بوكاي) إسلامه في نهاية المطاف سنة ١٩٨٣ [١].

ولا شك أن إشاراتنا العابرة فيما سبق إلى الأحرف السبعة قد نبّه إلى قضية مهمة تستحق وقفة منا لتوضيح ذلك، فما هي قصة هذه الأحرف السبعة؟ وما علاقة القراءات القرآنية بها؟ ذلك هو مدار حديثنا في الفصل الثالث.

---

(١) انظر : القراءات المتواترة : ص ٢٤ ، ٢٥ .